

تمدد إيران في أفريقيا يفرز أنماطا جديدة من الصراع الطائفي

أنشطة حركة الشباب الصومالية تعبد طريق طهران للتسلل داخل كينيا



غزو ثقافي إيراني أفضى إلى صناعة أشكال جديدة من التشدد

تكون بعيدة عما يجري في الصومال من أزمات، وسعت إلى التصدي لها مبكرا عبر التدخل العسكري، وعندما وجدت تأثيراته السلبية أشد وطأة تراجعت، لكن ذلك لم يبعد عنها شبح العنف الصومالي. أشار الباحث السياسي الكيني البرت موبوانا، إلى أن مدن الساحل الشرقي لأفريقيا في كينيا وتنزانيا، تمثل ركيزة رئيسية للتغلغل الإيراني بأساليب متعددة، ومنها محاولة السيطرة على البيئة المحلية طائفا عبر نشر المذهب الشيعي، وتمكين جماعة "الخوجة" الإثني عشرية من بسط نفوذها المعنوي، وتتمدد من تنزانيا إلى شرقي وجنوبي أفريقيا، وتتصرف تحت غطاء دعم المجتمعات الفقيرة.

وبدأ الاختراق الديني البراغامي لطهران في إنتاج أنماط جديدة من الصراع السنّي- الشيعي في الساحل الأفريقي، خاصة مومباسا ودار السلام. ومع زيادة الهيمنة الشيعية باتت جماعات السنة أكثر توجسا، ما دفعها إلى الدخول في مواجهات فكرية واحتكاكات مباشرة من خلال مبارزات نظرية، والتوسع في طباعة الكتب التي تناهض المد الشيعي، مثل كتاب "الشيعية والسنة" لإحسان إلهي ظهير، و"مسألة التقريب بين الشيعة وأهل السنة"، لناصر القفاري، و"رسالة في الرد على الرافضة"، لمحمد بن عبد الوهاب.

يقود الموقف العام إلى تصعيد حاد ومباشر، وقد يصنع بيئة في كل من كينيا وتنزانيا زاخرة بصراعات غير محدودة لم تكن موجودة من قبل، فالتشدد الديني، الشيعي والسنّي، ربما يفضي إلى العنف، الأمر الذي تجد فيه إيران فرصة للتوسع والتقدم وتكريس النفوذ.

أنه يسرد حكاية إمام تحول من المذهب السنّي إلى الشيعي. وتبرز في دار السلام المستشفيات والمطاعم والكتب والمراكز الشيعية بشكل أكثر وضوحا من مومباسا، وتتجاوز الإعلام والفنون الإيرانية مع لوحات زينية كتبت عليها كلمات تطلب المدد من الحسين وآل البيت على واجهات وداخل المباني المختلفة.

جاذبية سياسية وأمنية

يربط بعض المراقبين بين المظاهر الإيرانية في كل من مومباسا ودار السلام وبين التطورات الساخنة الجارية في اليمن، والتي بدأت نواتها منذ أكثر من عقد، لأن طهران تريد زيادة نفوذها على الضفة المقابلة، لتتمكن من التأثير السياسي والأمني على مفاصل الأحداث المتسارعة. الأمر الذي ينسجم مع سياسة تكثيل الأوراق التي تتبناها إيران للضغط على خصومها وتحقيق مزايا نوعية. ويخشى هؤلاء أن يؤدي كثافة التواجد الإيراني إلى تواجد خشن، وتزدهر جماعات تتبنى الفكر الشيعي مستقبلا، وتتوالى الانقسامات في المجتمع، ثم تتحول إلى نزاعات سياسية، تساعد على التخلالات الخارجية، وتخرج كينيا من نموذجها المرئي إلى آخر عنيف، وهي التي حرصت طوال السنوات الماضية على أن

وهذا التنظيم يتبنى العنف المؤسس على أفكار تنظيم القاعدة. منحت تدخلات حركة الشباب الصومالية المستمرة الفرصة لتسلل إيران إلى ساحل كينيا ومنه إلى العمق، بزعم أنها تبتني أفكارا متسامحة، وأملا في استقطاب الراضين لتوجهات حركة الشباب. وتعددت طهران تغذية الميول العدائية لها، حتى بدت كأنها مدافعة عن كينيا ومنافعة مع المواطنين في التصدي للتطرف، الأمر الذي سهّل مهمة نشر التشيع على أنه المقابل للتطرف السنّي.

علاوة على أن إيران عززت السياحة والتجارة في مدينة مومباسا، ما مكّنها من الترويج لرؤيتها الشيعية عبر محافل مختلفة، وخلقته انطباعات إيجابية نحوها، ضاعفت من قدرتها على اختراق المجتمع رسميا وشعبيا. زعم أحمد علي، وهو مرشد سياحي يعمل بالقرب من القلعة التاريخية للمدينة وتم اختياره لقيادة فوج سياحي متعدد الجنسيات، أن "النموذج الإيراني مذهل"، ولذلك يحرص في جولاته على الاهتمام بكل ما هو شيعي، من مراكز ومساجد في المدينة.

ينصح أحمد أفواجه من المسلمين براءة كتاب "ثم اهتديت" لكاتب تونسي اسمه محمد التيجاني السماوي، ويقدمه على أنه كتاب شأرح لحياة المسلمين في أفريقيا، ثم يكتشف من يطلع عليه

بدأ تزايد النفوذ الإيراني في دول مثل كينيا وتنزانيا يقلق بعض الدوائر السياسية والاجتماعية، بعدما اتخذ مسارات ومظاهر دينية ملحوظة داعمة للتشدد. وتقوم طهران بذلك بطريقة تعتمد التناسق الكبير بين نشر مذهبها وبين توجهاتها الخارجية الرامية إلى تحقيق مكاسب أيديولوجية على حساب تماسك بعض المجتمعات الأفريقية، وهز القوة الصلبة في الكونيات المتعددة. وراكت دورها حتى أصبح مؤثرا في الساحل الأفريقي الشرقي، ومنه تستطيع أن تمد بصرها إلى الداخل، كي تتحكم في بعض مفاتيحه السياسية.

تقترب بنفوذ واسع لطهران ظهر فجأة مع إنشاء قنصلية إيرانية في مومباسا، ثم تبعه نشاط ثقافي ودعوات شيعية علنية لتعريف الناس بالمذهب الإثني عشري.

محمود زكي
كاتب مصري

نيروبي - من الصعوبة إخفاء صور النشاط الشيعي عن أنظار المسافر الذي يخطو أولى خطواته إلى أي بقعة تقع على سواحل كينيا وتنزانيا المطلة على المحيط الهندي. وتزايدت المساجد الشيعية فيها، وباتت تدوينات "يا حسين" تملأ حوائط الكثير من الشوارع والحارات والأزقة، حتى غطت بعض اللافتات جوانبها. كما تنتشر الفنون التراثية الإيرانية، بجوار الأعمال الأفريقية على الأرصفة وفي الأسواق المحلية.

ذهبت إلى مدينة مومباسا الساحلية، ثاني أكبر المدن الكينية بعد نيروبي، بدعوة لحضور حفل زفاف لصديق وزميل دراسة سابق في لندن. ثم تنقلت بين مدن أفريقية ساحلية عدة، مثل دار السلام وتونغا. وفي جميعها تكررت المظاهر الشيعية، ما يؤكد أن هناك نشاطا إيرانيا حثيثا في هذه المنطقة الحيوية.

أشار كتاب "تاريخ المسلمين في أفريقيا" لتقي الدين الدوري، إلى أن الظهور الأول للشيعية في أفريقيا كان مع التمدد الشيعي في اليمن مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين والتطلع لتحقيق المزيد من الرواج في مجال التجارة الخارجية، ما صنع أحياء كاملة يقطنها شيعة ظلوا في انحسار حتى منتصف القرن الماضي.

سمحت التوجهات اللينة التي تبناها الرئيس الكيني الأسبق غومو كينياتا، بمنح مساحة كبيرة للحريات الدينية، الأمر الذي مكّن المسلمين عموما من الانفتاح على غيرهم، وهي ثغرة بدأ الشيعة يستفيدون منها لاختراق المجتمع بناء على حسابات أيديولوجية محكمة.

مثل الدور الإيراني وراعيتيه من أعلى المستويات في طهران نقطة تحول واضحة في شكل الشيعة داخل كينيا، مع موافقة حكومة نيروبي على ذلك، في ظل تمتعها بعلاقات اقتصادية قوية مع طهران، ورفضها الضمني للنشاط الحركي للسنة، احتجاجا على توغل الكثير من الصوماليين السنة، وما حملوه من تصورات عدائية لقطاع كبير من الكينيين.

ساعد تضخم حركة الشباب الصومالية المتشددة على مد بصرها ناحية كينيا وتطلعتها إلى تنزانيا، والقيام بعمليات إرهابية في مومباسا ونيروبي والهجوم على بعض القرى القريبة من الحدود مع الصومال، والسعي المنظم لنشر التطرف بين صفوف المواطنين،

مثل الدور الإيراني وراعيتيه من أعلى المستويات في طهران نقطة تحول واضحة في شكل الشيعة داخل كينيا

تبدو الصورة للوهلة الأولى طبيعية. مد إيراني نابع من تواجد كثيف لجاليات شيعية تشاركت مع أخرى سننية في الإقامة داخل مدن ذات أغلبية مسيحية في مواجهة الساحل، بحكم الجغرافيا والتجارة. ومع كل احتكاك وتجرّب في معرفة البيئة العامة تظهر صور مصنعة لم ينتجها امتداد ديني طبيعي، بل هو دعم سياسي ملموس وموجه.

قال محمد الموصلي مفتي مدينة مومباسا، وإمام أكبر وأقدم مسجد سنّي بالمدينة "سيكون من غير المنصف، إذا قلنا إن السكان المحليين من السنة والشيعة يعيشون في توافق تام على الساحل الأفريقي، فقد بدأ المشهد يتغير منذ عشرة أعوام تقريبا، لأن هناك سياسات وممارسات منقطة". وأوضح لـ"العرب"، "الأزمة ليست مقتصره على المد الديني الشيعي، لكنها

أزمة شرق المتوسط.. أردوغان يسير بتركيا إلى أخطر مواجهة

التركي في نهج سياسة تحدي أوروبا وتسريع وتيرة أنشطته المثيرة في شرق البحر المتوسط بعد إرسال سفينة فائقة لتكتشف عمليات التنقيب عن الغاز قبالة سواحل قبرص، أعلنت كل من اليونان وإسرائيل وقبرص والولايات المتحدة أنها عازمة العقد على التعاون في مجال الطاقة وأمن الإنترنت والبنية التحتية، وذلك بعد اجتماع وزراء من الدول الأربع في أثينا.

وكان وزير الطاقة اليوناني كوستيس هاتسيداكيس قد أكد في وقت سابق، أن اليونان وإسرائيل وقبرص والولايات المتحدة اتفقت على تطوير التعاون في مجال الطاقة وأمن الإنترنت والبنية التحتية بعد اجتماع الدول الأربع في أثينا في الأسابيع الأخيرة. ويعتبر العديد من الخبراء أن القضية ستزداد تعقيدا، خاصة أن مثل القرار الرباعي يعد بمثابة الرد على أنشطة تركيا في شرق البحر المتوسط عقب إعلانها عن مواصلة سفينتين تركيتين العمل في المنطقة، علاوة على انضمام سفينة أخرى إليهما هذا الشهر، وذلك في وقت يشتعل فيه الخلاف على الموارد الطبيعية وتزداد التوترات بين أنقرة وقبرص.

سفنها الحربية متواجدة في الأرجاء نفسها. ويؤكد الكاتب التركي على أن سباق موارد الطاقة في شرق المتوسط يُعدّ من أكبر المشكلات التي تعاني منها هذه المنطقة، بل هي أسوأها وأكثرها واقعية وإلحاحا. وفي الفترة الأخيرة، وعلى إثر مواصلة النظام

ويونان وقبرص، تعقد بين الحين والآخر اجتماعات مع ممثلي الولايات المتحدة في منطقة موارد الطاقة هذه. كما أن الشركات المشاركة في عمليات التنقيب لها علاقة بدول قوية كفرنسا وإيطاليا.

أما تركيا، فقد ظهرت في هذه المنطقة كـ"طرف مضاد" لهذه القوى المذكورة. أي أن عزلتها على الساحة الدولية تتجلى في أبرز صورها.

وتصر سياسات أنقرة أيضا على حماية سفنها الحربية التي تنقب في مياه شرق المتوسط، وعلى الطرف الآخر نجد أيضا أن القوى الأخرى تبقى على

ومصر وإسرائيل، أنشطة التنقيب التركية عن الطاقة في شرق المتوسط. ويرى الكاتب في موقع "أحوال تركية" هرقل ميليس، أن مسألة موارد الطاقة والمنطقة الاقتصادية الحصرية في شرق المتوسط، مختلفة تماما عن بقية أزمات تركيا في المنطقة، إذ يُعدّ هذا الموضوع بحق "مسألة وجود" لأنه لو كانت هناك موارد طاقة ثرية بالمنطقة، فإن من سيملكها سيربح الكثير والكثير، فيما سيخسر كثيرا من يعجز عن الوصول إلى تلك الموارد. ولا ننسى أن غالبية الحروب قد اندلعت بسبب هذه النوعية من الموارد الطبيعية التي تعول عليها الكثير من الدول كسبب من أسباب تقدمها ورفقها.

ويضيف بان هذا الملف يُعدّ ملحا وطارئا ولا يمكن أن ينتظر على الإطلاق، وذلك لأن عمليات التنقيب بدأت بالفعل داخل المنطقة الاقتصادية الحصرية لقبرص، وإذا لم تكن هناك ردة فعل حيال عمليات التنقيب هذه فإن هذه المنطقة الاقتصادية سيكون معرفتها بها لمن يقوم بالتنقيب فيها. فضلا عن أن هناك الكثير من الدول التي لها الحق في تقاسم هذه الموارد. وعلى الجانب الآخر، فإن كلا من إسرائيل ومصر

الجمهوري المعارض كمال قليجدار أوغلو، بنشان الوجود التركي في شرق المتوسط. وأشار إلى أن "قليجدار أوغلو" زعم بأن تركيا هي الدولة الوحيدة التي لا تتواجد في شرق المتوسط، مقابل وجود دول أخرى مثل أميركا وفرنسا وبريطانيا وقطر.

هرقل ميليس
أزمة شرق المتوسط، مختلفة عن بقية أزمات تركيا في المنطقة

وتساعل الرئيس التركي عما إذا كان زعيم المعارضة لا يعلم بوجود سفن التنقيب التركية في تلك المنطقة، والعلم التركي الذي يرفرف على متنها. وأضاف "الأ تشرى فرقاطتنا التي تقف إلى جانب سفننا الخاصة بالتنقيب والمسح؛ إننا حاضرون هناك بطائراتنا وكامل قواتنا".

وتابع "نحن لا نكتشر للتهديدات الغربية، وسوف نواصل الدفاع حتى النهاية عن حقوق تركيا في هذه المنطقة". وتعارض كل من قبرص واليونان والاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة

أنقرة - تتصاعد حدة التحذيرات في تركيا من أن تؤدي السياسات التي ينتهجها النظام التركي بقيادة الرئيس رجب طيب أردوغان ومن وراءه حزب العدالة والتنمية إلى المزيد من التوترات ستفاقم الأزمة في شرق المتوسط.

ويعتبر العديد من المراقبين والسياسيين الأتراك، أن تهور أردوغان غير محسوب العواقب، سيجعل من تركيا معرضة للمخاطر وذلك بالزمان مع التهديدات الغربية بشأن ما تقوم به أنقرة من عمليات تنقيب في شرق المتوسط.

لكن متابعة تفاعل الرئيس التركي مع هذه التحذيرات، تبرز أنه لا يكتشر لهذه التوصيات وأنه ماض في تهوره، بعدما قال السبت، إن "أنقرة لا تكتشر للتهديدات الغربية بشأن أعمال التنقيب التي تقوم بها في شرق المتوسط، وإنها عازمة على حماية حقوقها بالمنطقة"، وفق ما أفادت به وكالة أنباء الأناضول التركية الرسمية.

وجاء هذا الموقف الأخير في خطاب القاه الرئيس التركي أمام حشد من المواطنين الأتراك خلال زيارة لقضاء "يوسف الي" التابع لولاية "أرتوين" في منطقة البحر الأسود. وانتقد أردوغان تصريحات لرئيس حزب الشعب